

تفسير ابن كثير

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ
فَأِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

وقوله : (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) أي : كما

فصل لكم هذه الأحكام وبينها وأوضحها ، كذلك يبين لكم سائر الآيات في أحكامه

ووعده ، ووعيده ، لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة . قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن

عباس : يعني في زوال الدنيا وفنائها ، وإقبال الآخرة وبقائها . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا

أبي ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو أسامة ، عن الصعق العيشي قال : شهدت

الحسن وقرأ هذه الآية من البقرة : (لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) قال : هي والله

لمن تفكر فيها ، ليعلم أن الدنيا دار بلاء ، ثم دار فناء ، وليعلم أن الآخرة دار جزاء ، ثم

دار بقاء . وهكذا قال قتادة ، وابن جريج ، وغيرهما . وقال عبد الرزاق عن معمر ، عن

قتادة : لتعلموا فضل الآخرة على الدنيا . وفي رواية عن قتادة : فآثروا الآخرة على الأولى .]

وقد ذكرنا عند قوله تعالى في سورة آل عمران : (إن في خلق السماوات والأرض

واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب) [آل عمران : 190] أثارا كثيرة عن
السلف في معنى التفكير والاعتبار [وقوله : (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير
وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم) الآية :
قال ابن جرير : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد
بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) [
الإسراء : 34] و (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا
وسيصلون سعيرا) [النساء : 10] انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه ،
وشرا به من شرا به ، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد ،
فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : (
ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم) فخلطوا طعامهم
بطعامهم وشرا بهم بشرا بهم . وهكذا رواه أبو داود ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن
مردويه ، والحاكم في مستدركه من طرق ، عن عطاء بن السائب ، به . وكذا رواه علي
بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . وكذا رواه السدي ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن

ابن عباس وعن مرة ، عن ابن مسعود بمثله . وهكذا ذكر غير واحد في سبب نزول هذه الآية كمجاهد ، وعطاء ، والشعبي ، وابن أبي ليلى ، وقتادة ، وغير واحد من السلف والخلف . قال وكيع بن الجراح : حدثنا هشام الدستوائي عن حماد ، عن إبراهيم قال : قالت عائشة : إني لأكره أن يكون مال اليتيم عندي عرة حتى أخلط طعامه بطعامي وشرابه بشراي . فقوله : (قل إصلاح لهم خير) أي : على حدة (وإن تخالطوهم فإخوانكم) أي : وإن خلطتم طعامكم بطعامهم وشرابكم بشرابهم ، فلا بأس عليكم ؛ لأنهم إخوانكم في الدين ؛ ولهذا قال : (والله يعلم المفسد من المصلح) أي : يعلم من قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح . وقوله : (ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم) أي : ولو شاء لضيق عليكم وأخرجكم ولكنه وسع عليكم ، وخفف عنكم ، وأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن ، كما قال : (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) [الأنعام : 152] ، بل قد جوز الأكل منه للفقير بالمعروف ، إما بشرط ضمان البدل لمن أيسر ، أو مجانا كما سيأتي بيانه في سورة النساء ، إن شاء الله ، وبه الثقة .